مشهد

السيرُ الغريبة لوزيرات الثقافة في الجزائر

نساء قصر العناصر

لم يُعرف عن وزيرة الثقافة الجزائرية الجديدة أيّ نشاط ثقافي. لكنّ ذلكَ ليس مؤشّراً سلبياً وحده، حيث أسند المنصب في أوقات سابقة إلى مثقّفين لم يقدّموا شيئاً. لعلّ المؤشّر السلبي الأوضح هو نظر السلطة إلى القطاع كحصّة تُكافئ بها الموالين

محمد علاوة حاجي

ليس ثمّة الكثيرُ من المعلومات عن وزيرة الثقافة الجزائرية الجديدة، وفاء شعلال. كلّ ما نعرفه عنها أنّها انتُخبت في 2017 نائبةً في البرلمان الجزائري عن «التجمّع الوطني الديمقراطي» بولاية تيارت غرب البلاد، بينما أشارت وسائل الإعلام المحلّية إلى كونها حاصلة على شهادة دكتوراه، وأنّها ناشطة في جمعية خيرية للتكفّل بالأيتام. وعلى «ويكيبيديا»، يُمكن أن نقرأ في صفحة أُنشئت بعد تعيينها سيرة من سطر ونصف كُتب فيها أنّها «سياسية جزائرية عُيّنت عضواً في حكومة أيمن بن عبد الرحمن في منصب وزيرة للثقافة والفنون، بتاريخ السابع من تمّوز/ يوليو 2021».

هذه المعلومات الشحيحة ستدفعُ بعض المنتمين إلى المشهدَين الإعلامي والثقافي إلى طرح أسئلة على مواقع التواصُل الاجتماعي حول سيرتها وخلفيتها الثقافية، بما أنّ إعلان الرئاسة عن الحكومة الجديدة لم يتضمّن أية معلومات عن الوزراء المعيّنين فيها، وهو ما تكرّر أيضاً مع وزارة الثقافة نفسها التي نشرت، عبر صفحاتها الاجتماعية، خبراً عن تسليم واستلام المهام بين الوزيرتَين القديمة والجديدة من دون تقديم أيّة تفاصيل إضافية. يُمكن إدراج ذلك ضمن مشكلة اتّصالية تُعاني منها المؤسّسات الرسمية الجزائرية التي لا تُقدّم المعلومة كاملةً، أو تُقدّمها في وقتٍ متأخّر في أحسن الأحوال. وتلك مشكلةٌ لم يكُن مجرّدُ إسناد الرئاسة مهمّة الإعلان عن التشكيلة الحكومية الجديدة إلى صحافي شابٍ كافياً لحلّها.

وفي غياب المعلومة، لا بأس من أن يُشير بعضُ المعلّقين على مواقع التواصُل إلى بعض الملاحظات الشكلية؛ كالقصّات القصيرة المشتركة بين الوزيرات اللواتي تداولن على المنصب. ليس الأمر ذا أهمّية بالتأكيد، لكنّه يُحيلنا إلى جزئية باتت تُمثّل ما يشبه تقليداً في السنوات الأخيرة، وهي إسناد وزارة الثقافة إلى امرأة؛ فمنذ تعيين المناضلة السابقة في «التجمُّع من أجل الثقافة والديمقراطية»، خليدة تومي، وزيرةً للثقافة في 2002، تداولَت على المنصب أربع نساء هُنّ - بالإضافة إلى شعلال - كلّ من الأكاديمية والمخرجة السينمائية نادية لعبيدي، والناشرة مريم مرداسي، وأستاذة الفلسفة مليكة بن دودة.

تباين أداءُ الوزيرات الأربع في القطاع الثقافي، كما اختلفت فترات وظروف تولّيهن مناصبهنّ؛ فتومي (1958) عُيّنت مع بدايات فترة حُكم الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة بعد انضمام حزبها المعارض إلى حكومته، وهو انضمامٌ لم يستمرّ طويلاً؛ إذ سرعان ما قرّر الانسحاب من الحكومة، في حين فضّلت هي التخلّي عن حزبها والاحتفاظ بمنصبها الذي ستظلّ فيه طيلة 14 سنة، وهي أطول فترة لوزير ثقافة في الجزائر. لكنّ تلك الفترة ستُلقي بظلالها مجدّداً على سيرة المناضلة والناشطة النسوية السابقة؛ إذ ستُعتقل في 2019، بتُهم تتعلّق بـ«الفساد»، وستظلّ رهن الحبس المؤقّت، من دون أن تجري محاكمتُها إلى اليوم.

أمّا لعبيدي (1954)، الحاصلة على دكتوراه في التصوير السينمائي من «جامعة السوربون» في باريس عام 1987، فأُقيلت بعد سنة من تعيينها (2014 - 2015) في سياق حملةٍ شنّها عليها «حزب العمّال» الذي اتّهمها بالفساد وباستغلال منصبها في مشاريعها الشخصية. غادرت لعبيدي المنصب، لكنّها ظلّت تُلاحق الحزب قضائياً. وفي العام الماضي، كسبت دعوى قضائية ضدّ مسؤول الإعلام فيه، جلّول جودي، حيث أدانته محكمةٌ جزائرية بتُهمتَي القذف والتشهير.

وعُيّنت مرداسي (1983) في أوّل حكومة بعد الحراك الشعبي الذي شهدته الجزائر في 2019، ثمّ غادرت المنصب بعد تقديمها استقالتها في آب/ أغسطس من العام نفسه، على خلفية حفل قدّمه المغنّي الجزائري عبد الرؤوف درّاجي (سولكينغ) بالجزائر العاصمة وشهد سقوط خمسة قتلى وعشرات الجرحى، وتلته حملة إقالات وسَجن لعدد من المسؤولين في القطاع. كانت تلك الأشهر الخمسة أقصر فترة يقضيها وزير في «قصر مضبة العناصر» (مقرّ وزارة الثقافة)، وكانت تلك الاستقالة الأولى لوزير ثقافة جزائري أيضاً.

أمّا بن دودة، فعُيّنت مطلع العام الماضي في أوّل حكومة في فترة الرئيس الحالي عبد المجيد تبّون، الذي وصل إلى السلطة بعد أوّل انتخابات رئاسية تلت الحراك. وخلاله، عبّرت أستاذة الفلسفة عن مواقف راديكالية من السلطة، قبل أن تنضمّ إليها، وتُصبر تعليماتٍ تمنع موظّفي قطاعها من التعبير عن آرائهم في الشأن العام على مواقع التواصُل الاجتماعي. وعلى غرار بعض الوزراء الذين عرفهم الجمهور عبر ظهورهم المتكرّر على وسائل الإعلام، عُرفت بن دودة من خلال تقديمها برنامجاً تلفزيونياً على إحدى القنوات التلفزيونية الخاصّة، وهو ما حدا ببعضهم إلى القول بأنّ معظم وزراء حكومة عبد العزيز جرّاد «عيّنهم التلفزيون».

ضمّت تلك الحكومة، أيضاً، منصبَين آخرين على صلة بالقطاع الثقافي؛ هما كتابة الدولة المكلّفة بالصناعة السينماتوغرافية التي أُسندت إلى الممثل يوسف سحايري، وكتّابة الدولة المكلّفة بالإنتاج الثقافي التي أُسندت إلى الموسيقي سليم دادة. وبدأ أنّ ذلك أحدث تضارباً في المصالح بين الهيئات الثلاث، انتهى بالاستغناء عن المنصب الأوّل، ثمّ عن الثاني.

وعلى خلاف سابقاتها، لم يُعرف عن شعلال، التي تُمثّل واحدةً من أربع نساء تضمُّهن الحكومة الجديدة - وهو رقمٌ أقلّ من سابقه في حكومة جرّاد التي ضمّت خمس وزيرات - أيُّ نشاطٍ ثقافي قبل تولّيها وزارة الثقافة. على أنّ ذلك ليس مؤشّراً سلبياً وحده، بالنظر إلى تولّي مثقّفين الوزارة من دون أن يُضيفوا إلى القطاع شيئاً أو يُسهموا في حلّ بعض اختلالاته. لعلّ المؤشّر السلبي الأوضح هو مقاربة المنظومة الحاكمة في الجزائر للقطاع الثقافي الذي لا ترى فيه غير حصّة يُكافأ بها حزبٌ سياسي موالٍ للسلطة أيّاً كان اسمُ رئيسها: عبد العزيز بوتفليقة... أو عبد المجيد تبّون.

حصيلة هزيلة

قبل أيام من إعلان الحكومة الجديدة، نشرت وزارة الثقافة حصيلةً لما حقّقته خلال النصف الأوّل من العام الجاري. ولأن الوزارة لم تفعل الشيء نفسه العام الماضي، فقد بدا الأمر إشارةً إلى احقّية الوزيرة السابقة، مليكة بن دودة (الصورة)، بالبقاء في منصبها. تضمّنت الحصيلة «أنجازات» هزيلة في قطاعات الكتاب والسينما والمسرح، وكان لافتاً أن مجلّة «الزيارات» التي توقّفت في عددها الرابع فقط ذُكرت ضمن تلك «الإنجازات».

تداوَلَت على الوزارة أربع نساء في العقدَين الأخيرين

اعتُقلت خليدة تومي في 2019 ولم تُحاكم إلى اليوم

خليدة تومي خلال مظاهرة بالجزائر العاصمة، حزيران/ يونيو 1994 (Getty)

إطلالة

الأفكار إذ تصبح حقيقةً واقعة

الموسوعة ومعاركُها

إن كانت قصّة «الموسوعة» التي أصدرها دنيس ديدرو، منتصف القرن الثامن عشر، تدلّ على شيء، فعلى استطاعة الفكر التأثيرَ في الواقع وتغييره

فوّاز حداد

لا تقلّ المعارك الفكرية ضراوةً عن المعارك السياسية، ولا تنتهي بقدر ما تتجدّد تحت عناوين مختلفة؛ كلما حقّقت تقدّماً، أو تراجعاً، ينعكس ذلك على الأحوال السياسية. ما يبرهن على أنّ السياسة، مهما انحرفت، تستقيم تحت تأثيرها. وفي حال هُزم الفكر، لا يُفلس بل يُعاود على أمل تحقيق انتصار، ما يبشّر باحتجاجاتٍ، وربما قلاقل، ولا تُستبعَد من الحسبان انتفاضةٌ أو ثورة، والتاريخ شاهدٌ على أنّ المخاض الفكري يمهّد للتغيير السياسي، ولا يحصل من دونه. من أبرز المعارك الفكرية كان صدور «الموسوعة» عام 1751 تحت عنوان: «الموسوعة أو القاموس العقلاني للعلوم والفنون والحِرَف». كانت من أضخم المشاريع الثقافية في ذلك العصر. استمرّ العمل عليها حتى عام 1772، ولم تتوقّف المعارك حولها طوال هذه السنوات وبعدها.

وراء إصدار الموسوعة الفيلسوفُ دنيس ديدرو، وكان عالماً بالطبيعيات وروائياً وكاتب مسرحيات. استقطبت الموسوعة مشاركة معظم مثقّفي ذلك العصر، من فولتير إلى دالامبير وجان جاك روسو وآخرين. كان الهدف منها: «جمع المعارف المتبعثرة على سطح الأرض، وشرحها بشكل واضح ودقيق لأناس عصرنا الذين يعيشون معنا، ونقل هذه المعارف إلى الأجيال اللاحقة، كي لا تظلّ بالنسبة للقرون المقبلة. كما ترمي إلى تثقيف أبنائنا وجعلهم أكثر فهماً ومعرفة ليصبحوا أكثر نزاهة وفضيلة وسعادة، وهكذا نكون قد قدّمنا خدمة للبشرية واستحققنا صفة الانتماء للإنسانية».

أُطلقت على المساهمين في «الموسوعة» تسمية فلاسفة التنوير، لدعوتهم إلى تنوير العقول المثقلة بخرافات العصور الوسطى، وانصبّ اهتمامهم على نزع مظاهر التقديس والأسطورة عن المعرفة السائدة، فطبّقوا المنهج النقدي على العادات والتقاليد والعقائد الدينية ومجمل الأفكار التي كانت مسيطرة على عقول الناس في أوروبا. شهدت «الموسوعة» رواجاً منقطع النظير دلّل على التوق للمعرفة، والجرأة على التفكير والابتكار، والرغبة في النقد والتشكيك. بينما رات السلطات الرجعية في إصدار «الموسوعة» مشروعاً مضاداً، ومُناقِضاً خطيراً على أرضية الفكر والثقافة. كانت الخشية من نجاحه في انتزاع الشبيبة لحساب التنوير، ما يشيع الأفكار الهدّامة، والعقائد الضالّة، ما أدّى إلى رفع الشكاوى إلى الملك بزعم احتواء «الموسوعة» على أفكار تؤدّي الى المساس بالهيبة الملكيّة، والتشجيع على فساد الأخلاق، ونشر الإلحاد في المجتمع.

صدر أمر ملكيّ عام 1759 بإدانة «الموسوعة». كما صدرت إدانة لاهوتية، تضمّنت حظر نشر هذا الكتاب الفاجر الفاسق الذي يهدف الى تدمير الأديان والعقائد المقدّسة. فلوحقت «الموسوعة» وصودرت أجزاؤها من قِبل الرقابة، وحُرقت على الملأ في باريس، ما أدّى إلى توقّف صدورها.

لم يستسلم ديدرو رغم ما تحمّل من مشاقّ وما تعرّض إليه من منع. كان عنيداً ومصمّماً على المضيّ في مشروعه حتى النهاية. لكنّ المساهمين معه أصبحوا تحت الرقابة الرسمية، واضطرّ بعضهم الى الاختباء، وآخرون غادروا إلى المنفى. على أنّ «الموسوعة» ستُعاود الظهور، من شدّة إصرار ديدرو على مشروعه.

قصّة «الموسوعة» مرويّةٌ هنا باختصار شديد. إن كانت تدلّ على شيء، فعلى تغيير الواقع من خلال الفكر، وعلى ذلك الترابط الوثيق بينهما. وأكبر دليل على نجاح «الموسوعة» أنّ معظم أفكارها أصبحت حقيقةً واقعة. فالثورة الفرنسية حصلت بعد صدورها بعشرين سنة، كانت فترةً كافية لزرع بذور الأفكار الجديدة؛ كذلك قيام نظام تربويّ وفكريّ حديث، بعد نصف قرن. لم تذهب جهود التنويريّين ولا عذاباتهم سُدىً، ولقد أدّت إلى ما كانت الملكية الاستبدادية تخشاه: تفخيخ النظام القديم وإسقاطه عن طريق بثّ الأفكار الجديدة. وكان فولتير على صواب عندما رأى في «الموسوعة» أكبر معركة فكرية في التاريخ، انتهت بانتصار النور.

ثمّة ما يجب إضافته: العالَم ما زال بحاجة إلى المزيد من النور، فالظلام يأتي متنكّراً، لا سيّما في بلادنا، بما معناه ألّا نضع الديمقراطية والعلمانية والدين بخدمة الدولة الاستبدادية.

(روائي من سورية)

بعد التنوير، ما زال العالم بحاجة إلى المزيد من النور

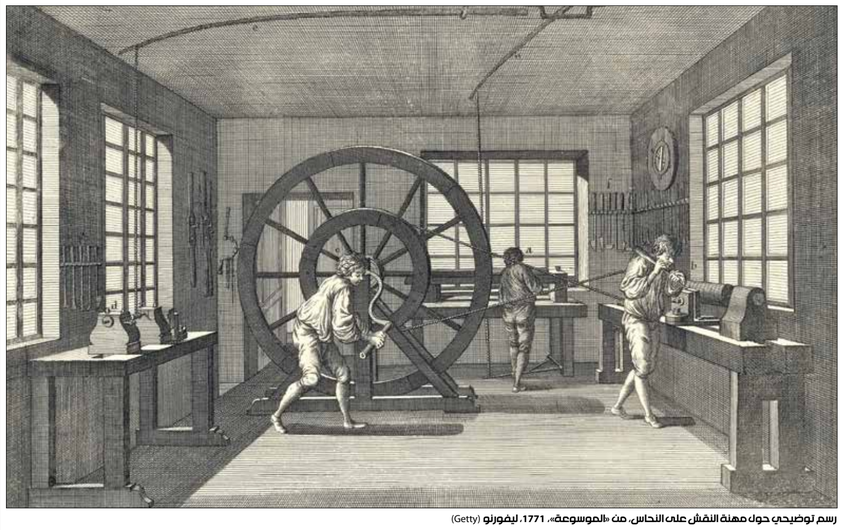

رسم توضيحي حول مهنة النقش على النحاس، من «الموسوعة»، 1771، ليفورنو (Getty)

شعر

جئتُ إليكَ لتنزعني من نفسي

يفارقونه عند الموانئ

محمود عاطف

1

جئتُ إليكَ لتنزعني من نفسي
لا لترشدني لساعةٍ من اللذّة
ضيّعتُها وأنا أتأمّل
سفاهاتِ الوحدة.
تقول إنّني ضيّعتُها
لكنّني كنتُ أفكّر في الكيفية
التي أسعى بها وحيداً
من غير وحدتي،
أن أسير في الشوارع
وأشير إلى عابر رمادي
وأقول:
يوماً ما، كان هذا ظلّي،
إنّني الآن وحيدٌ منه.
دُلّني إذاً
على مَخلَص كساعة الفجر.
لقد جئتك الآن
ظلّي ينبح خلفي وأمامي
فقُل لي ما العمل أرجوك،
إنّني الآن حائر.

2

ضحكتك غيمةٌ
سرتُ وراءها عاماً
ولم تُمطر.

3

وكان بحرٌ من النظرات عند قدميكِ
وكانت نظرتك مرفأ
تهفو إليه نفوس كثيرة
ويقول الناس:
تتّسع عيناها لِا أحد
وكنت أقول:
اسمي لا أحد.

4

مثل شاحنةٍ افرغوها
لتوّهما من البضائع
اتحقّق من حبّك
رويداً رويداً،
وأنتظر خروج روحٍ
لم تغرفني
دونما ألقّنها الشهادتين،
الجنازة ليست حازة
والميّت كلب.

5

ذات زمن
كنا نسير في الطريق نفسها
على الرصيف ذاته
أصابعنا متشابكة
وخطواتنا تنادي المستقبل.
ذات زمن
كان ذلك ذات زمن
ظننّا أنّه المستقبل.

6

السماء صافية، تقول البنت،
هذا نهارٌ مناسب للانتحار
السماء ضبابية، يقول الولد،
هذه ظهيرة مناسبة للانتحار.
السماء باردة، تقول المرأة،
هذا مساء مناسب للانتحار.
السماء مظلمة، يقول الرجل،
هذا ليل مناسب للانتحار.
السماء، يقول الناس.
يقول الناس، الانتحار.
لكنّني لو متّ
سأذهب للسماء
لكلّ هذا الصحو
لكلّ هذه الغيوم
لكلّ هذا الغمام
لكلّ هذه الظلمة،
مع هؤلاء جميعاً.
وتلك أسباب وجيهة
تُعفيني من الانتحار.

7

يشتكي لليل وحدته
يشتكي للنهار وحدته
يشتكي للأصدقاء وحدته
ثم يقول لنفسه:
أنا وحيد، ولا يفعل شيئاً.

(شاعر من مصر)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

عمل لـ أحمد فريد (مصر)

فعاليات

تحت عنوان **الاحتلال المائي: المياه في الفكر الصهيوني التوسّعي وتطبيقه**، تُقيم «دار الفنون» في عمّان لقاءً افتراضياً يوم الثلاثاء 27 يوليو/ تموز، بدءاً من الساعة السادسة مساءً، تُناقش فيه الباحثة، **راما سبانخ**، محورية مسألة المياه في الفكر الصهيوني وتأثيره في شكل الاحتلال جغرافياً.

مبنيّ على المجهول عنوان معرض للفنان الفلسطيني **راني الشرباتي**، يستضيفه متحف «حمّام إبراهيم الخليل» في الحيّ القديم بمدينة الخليل بدءاً من الثالثة من بعد ظهر اليوم، وذلك بتنظيم من «مشروع مساحات» وعدد من المؤسّسات الفلسطينية الأخرى. في أعماله، يستكشف الشرباتي الفنّ والمعمار في المدينة الفلسطينية، محاولاً فهم التواصل والتفاعل بين الإنسان والمكان.

حتى الحادي والثلاثين من يوليو/ تموز الجاري، يستمر في «غاليري سلمى فرياني» في سيدي بوسعيد قرب تونس العاصمة معرض **جنّة** للتشكيلي الفرنسي **يان لاكروا** (1986). يقدّم لاكروا عدداً من آخر اشتغالاته التي تصوّر مناظر طبيعية بشكل اساسي، إذ يُقارب هذه المناظر باعتبارها فضاءً للذكريات والتاريخ.

تحت عنوان **نترات المدينة** يُنظّم «مترو المدينة» في بيروت، عند التاسعة والنصف من مساء الخميس المقبل، حفلاً غنائياً يُقدّمه مغنّي الراب اللبناني **جعفر الطمّار**، ويُؤدّي فيه مجموعةً من اغانيه التي تتضمّن نقداً لاذعاً، بمشاركة كلّ من **يوسف سيّوف** (ناي وكيبورد)، و**وائل نعيم** (موسيقى).